

كلام الأسرى.. عيون الكلام

ناصر حسن أبو سرور (ابن مزيونة)*



نِصْفُ الْحَايَةِ

تَأخَّرِي
عَنْ مَوْعِدِنَا الْقَادِمِ سَاعَةً طَوِيلَةً
وَأَمْنَحِينِي
مَزِيداً مِنَ الْوَقْتِ
أَضْبُطُ إِيقَاعَ تَوْتُرِي، خُذِي قِسْطاً
مِنَ التَّعَبِ
أَوْ رَتَّبِي سَرِيرَكَ مِنْ عَنَاءِ انتِصَارِي، أَعِدِّي
فَطُورَكَ
وَابْحَثِي عَنْ أَسْبَابِ تَثْنِيكِ عَنِ الْحُضُورِ، عُدِّي
هَزَائِمِي
سَنِينِي
مَرَّاتٍ انْكَسَارِي
سَاعَاتٍ تَشْرِينِ الطَّوِيلِ
وَنَسَائِي
وَمَا تَبَقِيَ لَدَيَّ مِنْ فُصُولِ
رَاجِعِي
دَفَاتِرِكَ الْقَدِيمَةِ،
هَلْ فِيهَا مَا يُشْبِهُنِي؟

* أسير فلسطيني في سجن "هداريم"، بين طولكرم وأم خالد المحتلتين.

في الأسماءِ أو الملامحِ أو في
 اندلاعِ الحروبِ
 اكتظاظِ السّجنِ
 انعدامِ الوزنِ
 انسحابِ الظلِّ
 أمامَ ساعةِ الشمسِ، في ابتعادِ
 الأمسِ
 اشتعالِ الوقتِ
 افتعالِ الحُبِّ مع كتلةٍ من الإسمنتِ
 والحديدِ
 وفي انشقاقِ الضمائرِ بينَ
 أنا
 و
 نحنُ
 وفي اقتلاعِ المكانِ من جذورهِ
 تَساءلي
 إن كُنْتُ صَدَقْتُ حَقًّا
 أبديةِ الأوجاعِ
 كَوْنِيَّةِ الألمِ
 التقاءِ العوالمِ عندَ نقطةِ
 الصُّفرِ
 سرديّاتِ الجدارِ الطويلةِ
 افتقارِ اللغاتِ لكلامِ الغزلِ
 انسدادِ شرايينِ الأرضِ
 انتحارِ الكواكبِ
 بداهةِ الجنسِ
 عدميةِ التوقُّفِ
 سهولةِ الاستسلامِ
 واحتكارِ النساءِ للذكرياتِ
 اقرأي
 ما تيسَّرَ من معلوماتٍ عَنَّا في Google
 أو
 من مصادرٍ أخرى تصِفُ أوجاعنا

أكثر
أقرأي عن صاحبِ الجدارِ الأوَّلِ
عن الأطولِ
عن الأقدمِ
عن الذينِ ماتوا جوعاً
أو تعذيباً
أو يأساً
عن المدفونين في الثلجِ يَنْتَظِرُونَ
جنازةً
تَقْرَأُ عليهم آيةً
من
نَصِّ مُقَدَّسٍ
وعن أسبابنا، عَلِّكِ إِنْ قَرَأْتِهَا، عَرَفْتِنَا
أكثر
غازلي
رَجُلًا غيري
لا يقولُ في أسمائِكِ شِعْراً
يدعوكِ إلى العِشاءِ مرتينِ في الساعةِ
يُمَيِّزُ عَطْرَكَ عن الأخرىاتِ
يغارُ
يُصَلِّي لِرَبِّ تعرفينه أو قرأتِ عنه
مُؤَخَّرًا
لا يتعالى عليكِ بسنينه وِجداره وما يدَّعيه من
تَجَارِبِ
وخبِراتِ
يليقُ بكِ كالأبيضِ والأسودِ، مُتَقَفًّا يقولُ
أحبُّكِ
بِكُلِّ اللغاتِ، واقِفًا لا
يُبْطِئُ
ولا يتردد ولا يَعدُّ أصابعه إذا
سألته
هلْ تعرفُني؟
ويقولُ نعم

ابْحَثِي
 فِي الْمَعَاجِمِ
 عَنْ مُرَادِفَاتِ السَّجْنِ
 وَدَوْنِي فِي دَفَاتِرِكَ الْقَدِيمَةِ:
 السَّجْنُ
 حَيَاةٌ لَا حَيَاةَ فِيهَا وَمَوْتُ نَخَشَى الْمَوْتَ فِيهِ
 انْتِصَابُ الْأَرْوَاحِ وَأَجْسَادُ تَعَوَّدَتْ تَقْبُلُ الْإِهَانَاتِ
 زُرْقَةٌ بِلَا سَمَاءٍ
 بَلْبَلَةٌ فِي الْفُصُولِ وَالْحَوَاسِ
 آخِرُ مَحْطَةٍ لِلتَّرْوُدِ بِمَا يَكْفِي مِنْ بَدَايَاتِ،
 وَقَفَةٌ قَدْ تَطُولُ فِي اللّامِكَانِ، بَوَابَةٌ مَفْتُوحَةٌ
 عَلِيَّ
 كُلِّ الْإِحْتِمَالَاتِ
 فِرْصَةٌ لِإِخْتِبَارِ الْأَرْبَابِ، عِلَّةٌ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ كَثْرَةِ
 الْهَزَائِمِ،
 سُنَّةُ الْقَادِمِينَ مِنَ الشَّرْقِ، مُفْتَرَقٌ بِلَا طُرُقٍ
 تُوْدِي إِلَيْهِ أَوْ
 رَايَاتٍ
 مَقْبَرَةٌ لِلْمَخَاوِفِ وَوِلَادَةٌ مَخَاوِفَ أَكْبَرَ
 وَالسَّجْنِ
 يَا سَيِّدَتِي
 عَجُوزٌ طَاعِنٌ فِي عُمُقِهِ، وَلَا يَقْبَلُ التَّوَرُّطَ
 فِي
 أَنْصَافِ الْحِكَايَاتِ
 تَمَهَّلِي
 قَبْلَ أَنْ تُعْلِنِي "أَنَا مُشْتَاقَةٌ"، وَيَسْبِقَكَ
 إِلَيَّ
 كُلُّ مَا أَجَلَّتْهُ
 مِنْ
 مَوَاعِيدِ
 قُبُلَاتٍ عَلَّقْتَهَا عَلَى آخِرِ عَشْرِينَكَ أَلْفِ طَرِيقَةٍ
 لِلْعَشْقِ
 تَمَنِّيْتِ

لَوْ عَرَفْتَ نَصْفَهَا
أَشْبَاهَ رَجَالٍ تَعَطَّلَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْحُبِّ وَعَنِ
تَأْوِيلِكَ
وَنِيَّاتِكَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ وَالَّذِي يَلِيهِ، وَحِصَانِ
مِنَ الْأَبْيَضِ
مَعَ أَمِيرِهِ
تَمَهَّلِي، فَالاشْتِيَاقُ فِي لُغَاتِ أَهْلِ السَّمَاءِ
حِصَانٌ
يَأْتِي وَحِيداً
نِيَّاتٌ لَا تُصَدِّقُ نِزَاعَ الْوَقْتِ
طَرِيقَةٌ وَحِيدَةٌ لِلْعِشْقِ، تَبْدَأُ الْآنَ وَلَا
تَنْتَهِي أَبَداً
وَقُبُلَاتٌ أَدْمَنْتْ عَلَى التَّأَجِيلِ
وَتَرَفَّقِي
إِذَا جِئْتَ تَقْصِدِينَ قَتْلِي، فَأَنَا
مِنْذَ انْتِصَافِ الْوَقْتِ
عَجَلْتُ مَوْتِي كُلَّهُ وَلَا يَأْتِي
أَطْلَقْتُ خِيُولِي وَظَلَّتْ تَرْجَعُ
تَخَلَّيْتُ عَنِ وَجْبَةِ الْإِفْطَارِ
زِدْتُ فِي احْتِرَاقِ سَجَائِرِي
سَجَدْتُ لِمَزَاجِي الْمُتَقَلَّبِ
لَعَنْتُ رِثَاءَ الْمُرْتَاحِينَ عِنَاءَ السَّفَرِ
نَسِيْتُ مِذَاقَ الْقُبْلَةِ الْأَخِيرَةَ وَلَا أَتَذَكَّرُ
الْأُولَى
أَقْفُ عَلَى حَافَةِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَلَا أَسْقُطُ،
وَتَرَفَّقِي إِذَا جِئْتَ تَكْتَبِينَ نِهَائِي، فَأَنَا يَا آخِرَ سَيِّدَتِي
كَلِمَا
قُلْتُ وَدَاعَا كِي أَنْتَهِي، لَا أَكَادُ
أَبَداً. ■